وتحققت الوحدة عند شاتوبريان الكاثوليكي بين الله والطبيعة والشعب ، وسرعان ما عبرت الرومانسية النطاق الادبي لتقتحم ميدان السياسة والمجتمع ، شغلتها قضية الصراع الاجتماعي المتفاقم ـ فبحثت عن الانسجام ـ وتصورته عموما في الردة الى الماضي ، الماضي الاقطاعي المسيحي ، وحياة الريف الوادعة ، والفلاح السعيد بعلاقته الابوية مع النبيل الاقطاعي ، وفي العلاقة التعاونية بين اصحاب العمل والعمال · وقد تجده في روح الشعب ولغته التي لا يفسد انسجامها شيء ، وفي ثقافة الامة وقوانينها التي هي من نبع غريزتها المتأصلة ووجدتها اخيرا في العرق والدم النقي الذي يشكل الجنس ، و يعلو على كل الخلافات والصراعات الاجتماعية · وكانت الطبقة الوسطى المذعورة ، والبورجوازية الصغيرة المطحونة هي صانعة هذه الاحلام ووقودها ايضا ، بعد ان احاط بها اتون الصراع الذي لا تتبين له حل ، ولا تجد منه مخرجا · كانت المدن الجديدة تقوم وتتسع بسرعة مذهلة ، ومداخن المصانع ترتفع وترتفع ، يغطي دخانها السماء وعلى الارض يمتد البؤس والشقاء والتوتر والقلق · وكان اليهود ، والاقليات مع مجموعة البورجوازية الصغيرة والطبقة العاملة تطحن طحنا ، وحيثما افتقدت الوعي باسباب شقائها ، سقطت لقمة سائغه في ايدي العرقيين ودعاة الدم النقي والعرق الاصيل · وتراءى السلام المسيحي والانسجام الذي ينفي الصراع ،هو المخرج والامل · وجاءت الصهيونية منذ البداية في اواسط القرن ثمرة لهذا كله ـ فطرحت الصراعات الاجتماعية جانبا ، ووجدت في حلم العودة الى اورشليم والمهد القديم ، والى ماضي العبرانيين ، والعرق واللغة النقية التي تستخرجها من جوف التاريخ ، الملجأ والملاذ · فلم تخرج الصهيونية في ذلك عن كونها احدى تنويعات هذه الحلول الانسحابية الهروبية الرجعية ، التي تعددت وتوزعت بين الفرق المسيحية واليهودية ، وانخرطت في ممارسة الطقوس او الهجرة الى بلاد بعيدة ، وكل ما يحقق لها شيئا من الامن والاستقرار النفي المفتقد ، واستطاعت هذه الافكار ان تستقطب فئات من هذه الطبقات الصغيرة والدنيا ·

٤ ـ الدولة العضوية السندكالية

كان المفهوم العضوي الحيوي للقومية ، للدولة والمجتمع ، من اهم دعائم المثالية الرومانسية الالمانية بوجه الخصوص ، وكان له جوانبه الثورية في بداية الامر ولكنه انقلب ليصبح جوهر النظريات الفاشية والنازية · وتحول الى خدمة مفاهيم الانسجام الحيوي والعرقية بالدرجة الاولى · فالدولة مثل الكائن الحي يحكم اعضاء جسمه التعاون والتكامل ويبدو صراعه مع الخارج